

- سؤال : هل تعلم أحد الصحابة الصغار لغة قوم آخرين؟
- الجواب : هو زيد بن ثابت تعلم بأمر النبي حتى يكتب للنبي ﷺ، وتعلم اللغة ليس بسهل، وقد يتعلّمها الإنسان في مدة قصيرة.

قال الإمام أبو جعفر رحمه الله :

«القول في صفة المستحق القتل أنه بالله عارف المعرفة التي يزول بها عنه اسم الكفر.

لن يستحق أحد أن يقال له : إنه بالله [عارف] المعرفة التي إذا قارنها الإقرار والعمل استوجب به اسم الإيمان، وأن يقال له : إنه مؤمن ، إلا أن يعلم بأن ربه صانع كل شيء ومدبره ، منفردا بذلك دون شريك ولا ظهير ، وأنه الصمد الذي ليس كمثله شيء : العالم الذي أحاط بكل شيء علمه ، والقادر الذي لا يعجزه شيء أراده ، والمتكلّم الذي لا يجوز عليه السكوت ، [حاشية عفا الله عنك؟ على قوله : والمتكلّم الذي لا يجوز عليه السكوت]^(١)».

(١) هذه العبارة ليست على إطلاقها؛ لأن صفة الكلام من لوازם الذات الإلهية، المقدسة نوعاً ومتصلة بالمشيئة أبداً، وقوله رحمه الله : «لا يجوز عليه السكوت» يوهم أنَّ كلام الله قد يمطرأ ، وأنه لم يزل يتكلمه ، كما تقول السالمة الاقترانية ، وكما تقوله الأشاعرة في المعنى التَّنفسي والصَّواب : الذي دُلِّ عليه النقل والعقل أنَّ الله لم يزل يتكلم إذا شاء بما شاء ، فالكلام إذاً من حيث قدرة الرَّبْ عليه صفة ذاتية قديمة ، ومن حيث إنَّه تابع لمشيئته فهو صفة فعلية متتجدة تبعاً لإرادته ومشيئته ، فلا يجوز نفي السكوت عنه.

تعليق سماحة الشيخ ابن باز : لهذا إطلاق المؤلف غلط ، المؤلف له بعض الكلمات - الله يغفر له - فيها نقص ، الله جل وعلا ، يوصف بالكلام ، ويوصف بالسكوت جل وعلا ، يتكلّم إذا شاء فالكلام من جهة أنه ثابت لـ الله وأساس صفة ذاتية أمر معلوم ، ومن جهة أنه يتكلّم إذا شاء ، صفة فعلية ، كما قال أهل السنة والجماعة يتكلّم إذا شاء سبحانه وتعالى . =

تعليق سماحة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ :

هذه عبارة مجملة، مقصود به جنس الكلام، ليس هو دائمًا يتكلّم إذا شاء سبحانه، كما قال أهل السنّة والجماعة، وقال الرّسول ﷺ: «وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً بِكُمْ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ»^(١)، فهو يتكلّم إذا شاء ويدع الكلام إذا شاء سبحانه وتعالى.

قال الإمام أبو جعفر رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ :

«وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ لَهُ عِلْمًا لَا يُشَبِّهُهُ عِلْمُ خَلْقِهِ، وَقُدرَةً لَا تُشَبِّهُهَا قُدْرَةُ عَبَادِهِ، وَكَلَمًا لَا يُشَبِّهُهُ كَلَمُ شَيْءٍ سَوَاهُ، وَأَنَّهُ لَمْ يَزُلْ لَهُ الْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْكَلَامُ».

تعليق سماحة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ :

هكذا جميع الصّفات كلّها صفات كمال، تليق بالله لا يشابه فيها خلقه، قدرته كاملة، علمه كامل، وهكذا كلامه، ورحمته، وغضبه، ورضاه، وسمعه، كلّها - صفات - تليق بالله لا يشابه خلقه في شيء من صفاته جلّ وعلا.

القارئ أنت الحاشية: وقد جاءت إضافة السُّكوت إلى الله ﷺ في أحاديث كثيرة، ومنها في الحديث الذي رفعه أبي ثعلبة الخشنبي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه: «وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً بِكُمْ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ» أخرجه الدارقطني وغيره وصححه التّوسي في الأربعين. وأظن أنّ مراد الإمام ابن جرير بالسّكوت الذي هو ضد الاتّصاف بصفة الكلام، وهو الخرس تعالى الله عنه علواً كبيراً؛ لأنّه في سياق الكلام قبله وبعده جعل لكلّ صفة ما ينافيها فالقدرة ضدها العجز. أهـ تعليق سماحة الشيخ ابن باز: كلام طيب وصحيح وهو تأويل حسن، ثمّ سأّل سماحته: المُحشّي من هو؟ فقال القارئ: أنا عفا الله عنك. [وهو علي بن عبدالعزيز بن علي الشّبل حفظه الله] قال سماحة الشيخ: هذا كلام طيب كلام صحيح.

(١) طرف من حديث أبي ثعلبة الخشنبي رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخرجه الدارقطني في كتاب الرضاع برقم (٤٢) (٤/١٨٣) آخر حديث في كتاب الرضاع، والحاكم في المستدرك في كتاب الأطعمة برقم (٧١١٤) وسكت عنه، هو والذهبي كذلك (١٢٩/١).

قال الإمام أبو جعفر رضي الله عنه:

«فإن قال لنا قائلٌ: فإنك قد ألمت هذا الذي بلغ حد التكليف شططاً: أوجبت له الكفر بجهل ما قد عجز عن إدراك صحته من قد عاش من السنين مائة، ومن العمر طويلاً من المدة، وأنى له السبيل في المدة التي ذكرت مع قصرها إلى معرفة هذه المعاني.

قيل له:

إنَّ الَّذِينَ جَهَلُوا حَقِيقَةَ ذَلِكَ مَعَ مَرْوِرِ الزَّمَانِ الطَّوِيلِ، لَمْ يَجْهَلُوهُ لِعدَمِ الْأَسْبَابِ الْمُمْكِنِ مَعَهَا الْوُصُولُ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ فِي أَقْصَرِ الْمُدَّةِ وَأَيْسَرِ الْكُلْفَةِ؛ وَلَكِنَّهُمْ تَجَاهَلُوا مَعَ ظَهُورِ الْأَدَلةِ الْوَاضِحَةِ، وَالْحُجَّاجِ الْبَالِغَةِ لِحَوَاسِّهِمْ؛ فَأَدْخَلُوا الْبَيْسَ عَلَى أَنفُسِهِمْ، وَالشُّبُّهَةَ عَلَى عَقُولِهِمْ، حَتَّى أَوْجَبُ ذَلِكَ لَهُمُ الْحِيرَةَ، وَأَكْسَبَهُمُ الْجَهَلَ وَالْمَلَلَةَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ لَزَمُوا مَحْجَةَ الْهُدَىِ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ دَوَاعِي الْهُوَى لَوْجَدُوا لِلْحَقِّ سَبِيلًا نَهْجًا، وَطَرِيقًا سَهْلًا.

وَأَيُّ اُمْرٍ أَبِينُ، وَطَرِيقٌ أَوْضَعُ، وَدَلِيلٌ أَدْلُّ دَلَالَةً مِنْ قَوْلِ القائلِ: اللَّهُ عَالَمُ، عَلَى إِثْبَاتِ عَالَمٍ لَهُ عِلْمٌ. أَهـ».

تعليق سماحة الشيخ رضي الله عنه:

المقصود: بهذا كله أنَّ المؤلف عنده بعض الإطلاق، والصواب: أنَّه لا بدَّ أن يكون هناك دليل بلاغ من الرُّسل وأتباعهم، وأنَّه إذا لم يكن بلغته الرسالة معدوز حتى يُبلغ الرسالة، فإذا لم يُبلغ في الدنيا يُبلغ في الآخرة، وهم أهل الفترة، ولو أن إنساناً ما بلغته الرسل ولا بلغه القرآن بالنسبة لأمة محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه يعتبر من أهل الجاهلية، ومن أهل الفطرة حتى يبلغ يوم القيمة، الله - جلَّ وعلا - يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

الأسئلة:

- سؤال : ما ووضع حديث أبي ثعلبة^(١)؟
- الجواب : يستشهد به.
- سؤال : لكن ابن رجب قال منقطع^(٢)؟
- الجواب : الأدلة كثيرة لهذا قال أهل السنة يتكلم إذا شاء.
- سؤال : وصف الله تعالى بالسكت يحتاج إلى نقل ، عفا الله عنك؟
- الجواب : هو يتكلم إذا شاء يكفي.
- قال الإمام أبو جعفر عليه السلام :

«ولئن كان لا دلالة في قول القائل: هو عالمٌ، على إثبات عالمٍ له علمٌ أنه لا دلالة من قول قائل: «إنه» على إثباته؛ إذ كان المعلوم في النشوء والعادة أنَّ كلَّ شيءٍ مسمى بعالمٍ فإنَّما هو مسمى به من أجل أنَّ له عِلْمًا، فإنِّي واجبًا أن يكون المعلوم في النشوء والعادة في المَنْطَقِ الجاري بينهم، والمُتَعَارِفُ فيه في بارئ الأشياء: خلافاً لما جرت به العادة والتَّعَارُفُ بينهم.

إِنَّه لواجِبٌ أَنْ يكون قول القائل: «إِنَّه» دليلاً على النَّفِيِّ لا على الإثبات، فيكون المُقرُّ بوجود الصَّانِعِ مُقرًّا بِأَنَّه غَيْرُ عَدْمٍ، لا مُقْرَّا بِوْجُودِهِ، كَمَا كَانَ المُقرُّ بِأَنَّه عَالَمٌ مُقرًّا - عند قائل هذه المَقَالَةِ - بِأَنَّه لِيس بِجَاهِلٍ، لَا مُقرًّا بِأَنَّ لَهُ عِلْمًا».

(١) يقصد حديث: «سَكَّتَ عَنْ أَشْيَاءَ...». وقد سبق تخرجه في صفحة (٢٧). وقال في مجمع الزوائد (١/٢٣٢ برقم ٧٩٦) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٢٧٥).

تعليق سماحة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ:

وهذا من أقوال بعضهم:- إذا قال عالم معناه عنده علم، وإذا قال صانع عنده صنعة، وإذا قال زراع عنده زراعة، وإذا قال خياط عنده خياطة، وإذا قال إله - مثلاً - حكيم عنده حكمة، وإذا قال نحويٌّ عنده علم من النحو، وإذا قال لغويٌّ عنده لغة، وهكذا ما أنزل الله، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [ظه: ٥]، حكيم، عليم، رؤوف، رحيم، قدير، سميع، بصير، كله يدل على أن هناك معاني لهذه الأسماء لها معاني لكنها تليق بالله لا تشابه صفات المخلوقين.

والله خاطب الناس بما يعقلون ويفهمون، هكذا العرب تفهم إذا قالوا: فلان سميع معناه سميع، إذا قالوا: أصم معناه أصم، وإذا قالوا: فلان تاجر معناه تاجر، وإذا قالوا: فقيه: معناه فقيه، وإذا قالوا: فلان من آل فلان معناه صحيح، وإذا قالوا: من آل فلان معناه صحيح، كل هذه الألفاظ لها معناها، وإذا قالوا: إله بخيل فهو بخيل، وإذا قالوا سخي فهو سخي المعنى؛ لكن تختلف المعاني، قد يكون السخاء سخاءً تاماً، وقد يكون البخل بخلاً تاماً، وقد يكون السمع قوياً، وقد يكون السمع ضعيفاً، لكن لا بد من وجود الصفات، فالله حين سمي نفسه سميغاً، وعليماً، وبصيراً، وقديرًا، فهو على مقتضى اللغة أنه موصوف بهذه الأسماء، فهو سميع، وهو بصير، وهو حفيظ، وهو عليم، وهو قدير، وهو رؤوف ورحيم بمعانيها؛ لكن لا تشابه معاني المخلوقين، هو أجل وأعظم من أن يشابه خلقه سبحانه تعالى.

قال الإمام أبو جعفر رَحْمَةُ اللَّهِ:

«إِنْ كَانَ الْمُقْرُّ عِنْهُمْ بِأَنَّهُ مُقْرُّ بِإِثْبَاتِهِ وَوُجُودِهِ، لَا نَافِيًّا لِعَدْمِهِ؛ فَكَذَلِكَ الْمُقْرُّ بِأَنَّهُ عَالَمٌ مُقْرُّ بِإِثْبَاتِهِ عِلْمٌ لَهُ لَا يُنْفِي الْجَهْلُ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْقُدْرَةِ، وَالْكَلَامِ، وَالْإِرَادَةِ، وَالْعَزَّةِ، وَالْعَظَمَةِ، وَالْكُبْرَاءِ، وَالْجَمَالِ، وَسَائِرِ صَفَاتِهِ الَّتِي هِيَ صَفَاتُ ذَاتِهِ.»

إِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ :

فَهَلْ مِنْ مَعْنَى الْمَعْرِفَةِ شَيْءٌ سَوْيَ مَا ذُكِرَتْ؟ قَيلَ: لَا.
إِنْ قَالَ: فَهَلْ يَكُونُ عَارِفًا بِهِ مِنْ زَعْمِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الْعَبْدُ مَا لَا يَرِيدُ
رِبُّهُ وَلَا يَشَاءُ؟ قَيلَ: لَا.

وَقَدْ دَلَّنَا فِيمَا وَصَفَنَا بِالْعَزَّةِ الَّتِي لَا تُشَبِّهُهَا عَزَّةٌ عَلَى ذَلِكَ.
وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ - عَزَّ ذَكْرُهُ -
شَيْءٌ إِلَّا بِمُشَيْئَتِهِ، وَلَا يُوجَدُ مُوْجُودٌ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ، لَمْ يَعْلَمْهُ عَزِيزًا.
وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ شَيْئًا فَلَمْ يَكُنْ، وَكَانَ مَالِمُ يُرِدُ، فَإِنَّمَا هُوَ مَقْهُورٌ
ذَلِيلٌ، وَمَنْ كَانَ مَقْهُورًا ذَلِيلًا فَغَيْرُ جَائزٍ أَنْ يَكُونَ مُوصَوفًا بِالرُّبُوبِيَّةِ».»

تعليق سماحة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ:

وَهَذَا وَاضِعٌ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْعَزَّةُ بِيَدِهِ، فَمَا
لَمْ يُرِدْهُ وَلَمْ يَشَأْ لَا يُوجَدُ أَبَدًا، هُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ الْمَالِكُ
لِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَوْ كَانَ يُوجَدُ بِغَيْرِ عِلْمِهِ وَبِغَيْرِ إِرَاتِهِ مَا كَانَ عَزِيزًا، وَلَا
كَانَ قَادِرًا، هَذَا يَعْلَمُهُ الْمُؤْمِنُ بِالْفَطْرَةِ، وَأَنَّ اللَّهَ فَطَرَ الْعِبَادَ عَلَى أَنَّ
اللَّهَ لَهُ الْقُدْرَةُ الْكَامِلَةُ مَعَ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ مِنْ كَمَالِهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّهُ
مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ كُلِّ

شيء تصريف الأمور بيده - جل وعلا - فهو الفعال لما يريد: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] فمن زعم خلاف ذلك فقد نسب إلى الله النقص والقصور والضعف، فيكون كافراً بذلك، نسأل الله العافية.

قال الإمام أبو جعفر رحمه الله:

«فإن قال: فإن من يقول هذا القول يزعم أن إرادة الله ومشيئته: أمره ونهيه، وليس في خلاف العبد الأمر والنهي قهْر له؟

قيل له: لو كان الأمر كما زعمت، لكان الله تعالى ذكره لم يعم عباده بأمره ونهيه؛ لأنّه يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥]، فإنّ تلك المشيئه منه أمراً، فقد يجب أن يكون من لم يهتدى الدين الإسلام لم يدخله الله تعالى في أمره ونهيه الذي عمّ به خلقه، وفي عمومه بأمره ونهيه جميعهم، مع ترك أكثرهم قبوله الدليل الواضح على أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥] إنّما معناه: لو شاء الله لجمعهم على دين الإسلام، وإذا كان ذلك كذلك كان بينا فساد قول من قال: مشيئه الله - تعالى ذكره - أمره ونهيه!».

تعليق سماحة الشيخ رحمه الله:

وهذا من أبطل الباطل، الأمر والنهي غير المشيئه، فهو يأمر وينهى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٣٥] و﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَّنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَيِّعاً﴾ [يونس: ٩٩] فهو سبحانه وتعالى المتصرف في عباده، هدى من هدى، وضلّ من أضلّ، فأكثر الناس على الضلاله لم يقبلوا الهدى الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن شاء الله هدايته هداه جل وعلا: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَلَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَّهَا وَلَكِنَّ حَقَّ

الْقَوْلُ مِنِ الْمَلَائِكَةِ جَهَنَّمَ مِنِ الْجِنَّةِ وَالنَّاسُ أَجْعَيْنَ ﴿١٣﴾ [السجدة: ١٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَنِ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَإِنَّ تُكَرِّهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩] والله المستعان.

قال الإمام أبو جعفر رحمه الله :

«القول فيما أدرك علمه من صفات الصانع خبراً لا استدلالاً.
أما ما لا يصح عندنا عقد الإيمان لأحد، ولا يزول حكم الكفر
عنه إلا بمعرفته، فهو ما قدمنا ذكره.

وذلك أنَّ الذي ذكرنا قبلُ من صفاته لا يُدرِّر بالجهل به أحدٌ بلغَ
حدَّ التَّكْلِيفِ كان ممَّن أتاه مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذكره رسولُ، أو لم يأتَه
رسولُ، عاين من الخلق غيره، أو لم يعاين أحداً سوى نفسه.

ولِلَّهِ تَعَالَى ذكره أسماء وصفاتٌ جاء بها كتابه، وأخبر بها نَبِيُّهُ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أمته، لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجَّةُ بأنَّ القرآن نزل به،
وصحَّ عنده قول رسول الله صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما روِيَ عنه به الخبر منه خلافه».

تعليق سماحة الشيخ رحمه الله :

من بلغه القرآن والسنَّة قامت عليه الحجَّةُ، أما من كان في معزل
لم يبلغه القرآن ولا السنَّة، فهو من أهل الفترة، حكمه حكم أهل
الفترات يُتحن يوم القيمة، والله المستعان.

قال الإمام أبو جعفر رحمه الله :

«فَإِنَّ خَالِفَ ذَلِكَ بَعْدِ ثَبَوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْخَبْرِ عَلَى مَا
بَيَّنَتِ فِيمَا لَا سَبِيلٌ إِلَى إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ عِلْمِهِ إِلَّا حَسَّاً، فَمَعْذُورٌ بِالْجَهْلِ بِهِ
الْجَاهِل؛ لَأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ بِالْعُقْلِ، وَلَا بِالرُّوْيَاةِ وَالْفِكْرَةِ.

وذلك نحو إخبار الله تعالى ذكره إيانا أنه سميع بصير، وأن له يَدِين لقوله تعالى: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوتَانِ» [المائدة: ٢٤]، وأن له يَمِينَ لقوله: «وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيمِينِهِ» [الرَّمَضَانُ: ٦٧] وأن له وجها لقوله: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» [القصص: ٨٨]، قوله: «وَسَقَى وَجْهَ رَبِّكَ دُورَ الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ» [الرَّحْمَنُ: ٢٧]، وأن له قدما لقول رسول الله ﷺ: «حَتَّى يَضَعُ الرَّبُّ قَدَمَهُ فِيهَا»^(١) يعني: جهنم.

وأنه يصلاح إلى عبده المؤمن لقول النبي ﷺ: «لَمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُ لَقَيَ اللَّهَ تَبَّعَ وَهُوَ يَصْحَّكُ إِلَيْهِ»^(٢).
وأنه يهبط كل ليلة، وينزل إلى السماء الدنيا، لخبر رسول الله ﷺ.^(٣)

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ: «لَا تَرَأْلُ جَهَنَّمَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدْمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ وَعَزِيزَكَ، وَيُرْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ» أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته برقم (٦٦٦١)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها العبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٨)، كما أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري في كتاب التفسير، في سورة ق باب قوله: «وَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» [ق: ٣٠] برقم (٤٨٤٩)، ومسلم في كتاب والباب السابقين برقم (٢٨٤٦).

(٢) لم أجده بنص اللفظ المذكور؛ ولكن وجدت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَصْحَّكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتَلُ أَحَدُهُمَا الْأَخْرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهِدُ»، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعده ويقتل برقم (٢٨٢٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة برقم (١٨٩٠).

(٣) يشير بذلك لحديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري في كتاب أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاه من آخر الليل برقم (١١٤٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه برقم (٧٥٨) بلفظ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الْمُبَارَكَةِ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ النَّيْلِ الْآخِرُ، وَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُغْطِيهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

وأنَّه ليس بآعور لقول النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ ذُكِرَ الدَّجَالُ فقَالَ: «إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَلَنْ رَيَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(١).

وأنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَبْصَارِهِمْ، كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ لِيَوْمِهَا غِيَاثَةً، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لِيَلَةَ الْبَدْرِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ^(٢).

وأنَّه لِأَصَابِعِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِلَيْبَعْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»^(٣).

فَإِنَّ هَذِهِ الْمَعْانِي الَّتِي وَصَفَتْ، وَنَظَائِرُهَا، مَمَّا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ مَمَّا لَا تَدْرِكُ حَقِيقَةُ عِلْمِهِ بِالْفَكْرِ وَالرَّوْيَةِ».

تعليق سماحة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ :

من بلغته - صفات الله - وجحدها كفر بذلك؛ لأنَّ هذه ما تدرك بالعقل، فلا بدَّ من بلوغ الحُجَّةِ بها، والَّذِي عاش في بلاد أو منطقة ما ، بلغته الحُجَّةُ فيها ، ولا بلغه القرآن والسُّنَّة فحكمه حكم أهل الفترة.

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري في كتاب الفتنة، باب ذكر الدجال برقم (٧١٣١)، ومسلم في كتاب الفتنة وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه برقم (٢٩٣٣).

(٢) لعله يشير بذلك لحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الرؤية بلفظ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي السَّمَاءِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لِيَلَةَ الْبَدْرِ» أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» [النَّاسَ: ٤٠] برقم (٤٥٨١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى برقم (١٨٣).

(٣) بهذا اللُّفْظ أخرجه من حديث النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكَلَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن ماجه في المقدمة كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب فيما أنكرت الجهمية برقم (١٩٩).

قال الإمام أبو جعفر رَحْمَةُ اللَّهِ:

«ولا نكفر بالجهل بها أحداً إلا بعد انتهائها إليه، فإن كان الخبر الوارد بذلك خبراً تقوم به الحجة مقام المشاهدة والسماع، وجبت الديوننة على سامعه بحقيقةه في الشهادة عليه بأن ذلك جاء به الخبر، نحو شهادته على حقيقة ما عاين وسمع».

تعليق سماحة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ:

على الوجه اللائق بالله، كما يشهد لما عاين من أرض وسماء يشهد بما ثبتت به النصوص على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

قال الإمام أبو جعفر رَحْمَةُ اللَّهِ:

«وإن كان الخبر الوارد خبراً لا يقطع مجئه العذر، ولا يزيل الشك غير أنَّ ناقله من أهل الصدق والعدالة، وجب على سامعه تصديقه في خبره في الشهادة عليه، بأنَّ ما أخبره به كما أخبره، كقولنا في أخبار الآحاد العدول، وقد بينا ذلك في غير هذا الموضع بما أغني عن إعادته».

تعليق سماحة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ:

المقصود: متى صَحَّ الخبر عن رسول الله ﷺ من طريق التواتر أو الآحاد، وجب الإيمان والتَّصديق على الوجه اللائق بالله - جلَّ وعلا - .

قال الإمام أبو جعفر رَحْمَةُ اللَّهِ:

«فإن قال لنا قائلٌ:

فما الصواب من القول في معاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء بعضها كتاب الله تعالى ووحيه، وجاء ببعضها رسول الله ﷺ.

قيل: الصواب من هذا القول عندنا، أن ثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه - جل ثناؤه - فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فيقال: اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لَهُ سَمْعٌ وَبَصْرٌ؛ إِذَا لَا يُعْقَلُ مَسْمُى سَمِيعًا بَصِيرًا فِي لُغَةٍ وَلَا عُقْلٍ فِي النَّشَوَةِ وَالْعَادَةِ وَالْمُتَعَارَفَ إِلَّا مَنْ لَهُ سَمْعٌ وَبَصْرٌ.

كما قلنا آنفًا: إِنَّهُ لَا يَعْرُفُ مَقْوُلٌ فِيهِ: «إِنَّهُ» إِلَّا مَثْبُوتٌ مَوْجُودٌ، فقلنا ومخالفونا فيه: «إِنَّهُ» معناه الإثبات على ما يعقل من معنى الإثبات لا على النفي، وكذلك سائر الأسماء والمعانى التي ذكرنا.

تعليق سماحة الشيخ رحمه الله:

هذا هو الواجب إثبات الصفات لِللهِ عَلَى الوجه اللازم به، كما أخبر بنفسه، هو سميع بسمعه، وبصیر ببصره - جل وعلا - علیم بعلم، قادر بقدرة لا يشبه عباده في ذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فمن قال: عنده سمع بلا حقيقة، وبصر بلا حقيقة كما تقول المعتزلة هذا باطل، له سمع بحقيقة يسمع دعاء الناس ﴿فَإِنَّهُ قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] هو سميع الدُّعاء سبحانه وتعالى، هو سميع بسمعه وبصیر ببصره - جل وعلا - لا تخفي عليه خافية، ولا يخفي عليه صوت - جل وعلا - هذا قول أهل السنّة والجماعة، هو علیم بعلم، رحيم برحمته، قادر بقدرته، فله الأسماء الحسنی بمعانیها، فالقدیر يشمل معنین الذات ومعنى القدرة، الرَّحْمَن يجمع أمرین الرَّحْمَة والذات، الله: الألوهية والذات، السَّمِيع السمع والذات، المرید: الإرادة والذات، المغيث الغوث والذات، وهكذا بقية الأسماء والصفات كلها

تدلّ على الذّات وعلى الصّفة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ، شَفِّعٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ۱۱] فهي أسماؤه وهي نعوت، أسماء أعلام عليه، وهي نعوت أيضًا وصفات له - جلّ وعلا -، هو الرّحمن، وهو الرّحيم، وهو القدوس، وهو السّمِيع، وهو البصیر، وهو الملك، وهو الغفور، وهو التّوّاب إلى غير هذا، فهي أسماء دالّة على ذاته سبحانه، وعلى المعاني التي اشتقت منها، سميع بسمع تواب بتوبة، بصير ببصر رحيم برحمة، فهو سبحانه وتعالى قائم بذاته مستوي على عرشه، له الأسماء الحُسْنَى وله الصّفات العُلَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ، شَفِّعٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

قال الإمام أبو جعفر رَحْمَةُ اللَّهِ:

«وبعد، فإنَّ سميغاً اسمٌ مبنيٌّ من سمع، وبصيراً من أبصر؛ فإنَّ يكن جائزًا أن يقال: سمع وأبصر مَن لا سمع له ولا بصر، إنَّه لجائز أن يقال: تكلَّمَ مَن لا كلام له، ورحم من لا رحمة له، وعاقب من لا عقاب له».

تعليق سماحة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ:

هذا خلاف اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وخلاف ما يعقله النَّاسُ لا في اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ولا غيرها، عاقل بلا عقل، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، رحيم بلا رحمة يكون كلام كذب، فلازم قول المعتزلة والجهمية أنَّ كلام الله كذب؛ لأنَّهم قالوا لا سمع ولا بصر فهنا يكون كلامه كذب، نسأل الله العافية، ولهذا كفَّرُهم أهل السُّنَّةَ.

قال الإمام أبو جعفر رَحْمَةُ اللَّهِ:

«وفي إحالة جميع الموافقين والمخالفين أن يقال: يتكلَّمُ مَن لا كلام له، أو يرحم مَن لا رحمة له، أو يعاقب من لا عقاب له».

تعليق سماحة الشّيخ رَحْمَةُ اللّٰهِ :

يعني : هذا المعنى مستحيل ما يقوله عاقل ؛ ولا يقبله العاقل لا من العرب ولا من العجم ، فيعلم بهذا أنَّ الجهمية والمعتزلة خالفوا العقول ، كما خالفوا النُّصوص ، خالفوا النصوص وخالفوا العقول أيضاً .

قال الإمام أبو جعفر رَحْمَةُ اللّٰهِ :

«وفي إحالة جميع المُوافقين والمُخالفين أن يقال: يتكلّم من لا كلام له، أو يرحم من لا رحمة له، أو يعاقب من لا عقاب له، أدلُّ دليل على خطأ قول القائل: يسمع من لا سمع له، ويبصر من لا بصر له. فنثبتت كلَّ هذه المعاني التي ذكرنا أنَّها جاءت بها الأخبار والكتاب والتَّنزيل على ما يعقل من حقيقة الإثبات، وننفي عنه التشبيه؛ فنقول: يسمع - جلَّ ثناؤه - الأصوات، لا بخرق في أذنِ، ولا جارحة كجوارح بني آدم، وكذلك يبصر الأشخاص ببصري لا يشبه أبصار بني آدم التي هي جوارح لهم».».

تعليق سماحة الشّيخ رَحْمَةُ اللّٰهِ :

والمعنى في هذا الإجماع، أنَّه سبحانه له اليد، وله السَّمع، وله البصر، وله الإصبع ليس كمثله شيء، ليست من جنس صفات بني آدم لا أيديهم ولا أصابعهم ولا أسماعهم ولا أبصارهم ولا غير ذلك، فلا حاجة إلى ذكر الشَّق أو الأذن أو غير ذلك، بل نقول إنَّه سبحانه يسمع ولا شبيه له، ويبصر ولا شبيه له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وما سكت الله عنه نسكت عنه لا نزيد ولا ننقص هكذا أهل السنة والجماعة، لا يزيدون ولا ينقصون، يرون ما جاءت به

النصوص، ويقولون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَسَمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.
قال الإمام أبو جعفر رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

«وله يدان ويمين وأصابع، وليس جارحة؛ ولكن يدان مسوطنان
بالنعم على الخلق، لا مقووضتان عن الخير».

تعليق سماحة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

لا حاجة لما ذكره المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ من نفي الجارحة، وكشر الأسنان
حيث لم ترد به النصوص؛ بل هي ساكتة عنه، وإنما هو سبحانه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَسَمِيعُ الْبَصِيرُ [الشورى: ١١] له يدان ويكفي.

قال الإمام أبو جعفر رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

«ووجه لا كجوارح الخلق التي من لحم ودم^(١)، ونقول: يضحك
إلى من شاء من خلقه. ولا نقول: إن ذلك كشر عن أسنان، ويهبط كل
ليلة إلى السماء الدنيا».

(١) أراد المؤلف رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ نفي مشابهة المخلوقين في جوارحهم، كما يدل عليه سياق كلامه
وتمثيله، وإنما نفي الجارحة عن الله من النبي المجمل الذي لم ترد النصوص به وبابه عند
السلف الصالح السكوت عنه طرداً للقاعدة الكلبية في الأسماء والصفات ألا نسمي الله إلا
بما سمي به نفسه أو سماه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَسْلَامًا، ولا نصفه إلا بما وصف به نفسه أو صفة به
رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَسْلَامًا، والواجب في الألفاظ المجملة في باب النفي والإثبات السكوت
عنها، ثم الاستفصال عنها،

تعليق سماحة الشيخ ابن باز: (ثم) ليس لها لزوم. القاريء: ثم الاستفصال عنها، قال الشيخ:
لا، السكوت عنها بس، وإمرارها كمجاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف، ولا
يحتاج استفصال يقال كما قال الله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَسَمِيعُ الْبَصِيرُ ولا يستفصل
هل لكننا هل كذ هناك سن؟ هل هناك شفاء؟ لا حاجة له، النصوص ساكتة السكوت عنها
بس! بل يقال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَسَمِيعُ الْبَصِيرُ. لينفي باطلها وثبت حقها.

فمن أنكر شيئاً مما قلنا من ذلك، قلنا له: إنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكْرُهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّاً صَفَّاً» [النَّجْم: ٢٢]، وَقَالَ: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي ظُلْلٍ مِّنَ النَّعَمٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضَى الْأَمْرُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُ الْأَمْوَارُ» [البَقَرَةَ: ٢١٠]، وَقَالَ: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ» [الأنْتَامَ: ١٥٨] فَهَلْ أَنْتَ مُصْدِقٌ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ، أَمْ أَنْتَ مُكَذِّبٌ بِهَا؟

فإن زعم أنه بها مكذب، سقطت المنازرة بيننا وبينه من هذا الوجه».

تعليق سماحة الشيخ

إذا كذب ظهر كفره وضلاله وهم - أي: أهل النفي - وإن صدق يقال: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١] الحمد لله.

قال الإمام أبو جعفر :

«وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُصْدِقٌ، قِيلَ لَهُ: فَمَا أَنْكَرْتَ مِنَ الْخَبَرِ الَّذِي رُوِيَّ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّهُ يَهْبِطُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَنْزِلُ إِلَيْهَا»^(١)؟

قال القاري: ومثاله على ما أجراه ابن جرير رحمه الله نفي الجارحة لـه في اليمين والأصابع، فإن قصد نفيه مشابهة المخلوقين ببنفيه الجارحة فهو حق، وهو ما قصد ابن جرير في فحوى كلامه وسياقه وهذا ما هو عليه، وإن قصد نفي تلك الصفات لكونها جوارح تشبه جوارح الخلق، فهذا باطل، فالاستفصال في المجمل المشابه يزيل الإشكال واللبس ويتحقق الحق والمقصود.

قال القاري: الاستفصال يتمايز الحق من الباطل؟ الشيخ: لا، ما يحتاج إلى استفصال.

(١) هذا قطعة من الحديث المشهور بحديث النزول الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلوات الله عليه أَنَّهُ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلَ الْآخِرُ، وَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبْ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَغْطِيهُ، مَنْ يَسْتَفْرُرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ» متفق على صحته، أخرجه الإمام البخاري في ثلاثة مواضع في صحيحه: أولها في كتاب التهجد، باب الدعاء فيه والصلوة في آخر الليل برقم (١١٤٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل برقم (٧٥٨)، وقد شرح الحديث ورد على نفأة حقيقته الشيخ تقى الدين ابن تيمية في كتابه *التفيس* (شرح حديث النزول).

فإن قال: أنكرت ذلك، وأنَّ الهبوط نُقلةٌ، وأنَّه لا يجوز عليه الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ؛ لأنَّ ذلك من صفات الأجسام المخلوقة.

قيل له: فقد قال - جلَّ ثناؤه - : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفَّاً صَفَّاً﴾ [التجـر: ٢٢] فهل يجوز عليه المجيء؟ فإنَّ قال: لا يجوز ذلك عليه، وإنَّما معنى هذا القول: وجاء أمرُ ربِّك.

قيل له: قد أخبرنا - تبارك وتعالى - أنَّه يجيء هو والملك، فزعمت أنَّه يجيء أمره لا هو، فكذلك تقول: إنَّ الملك لا يجيء، إنَّما يجيء أمرُ الملك لا الملك، كما كان معنى مجيء الرَّبِّ - تبارك وتعالى - مجيء أمره.

فإنَّ قال: لا أقول ذلك في الملك، ولكني أقول في الرَّبِّ.

قيل له: فإنَّ الخبر عن مجيء الرَّبِّ - تبارك وتعالى - والملك خبرٌ واحدٌ، فزعمت في الخبر عن الرَّبِّ - تعالى ذكره - أنَّه يجيء أمره لا هو؟ فزعمت في الملك أنَّه يجيء بنفسه لا أمره، فما الفرق بينك وبين من خالفك في ذلك، فقال: بل الرَّبِّ هو الَّذِي يجيء، فأمَّا الملك فإنَّما يجيء أمره لا هو بنفسه؟!

فإنَّ زعمَ أنَّ الفرقَ بينه وبينه أنَّ الملك خلق لِللهِ جائزٌ عليه الزَّوال والانتقال، وليس ذلك على اللهِ جائزًا.

قيل له: وما بُرهانُك على أنَّ معنى المجيء والهبوط والتَّنْزُول هو النُّقلة والزَّوال، ولا سيما على قول مَنْ يَزْعُمُ مِنْكُمْ أنَّ اللهَ - تقدَّست أسماؤه - لا يخلو منه مكانٌ.

وكيف لم يَجِزْ عندكم أن يكون معنى المجيء والهبوط والتَّنْزُول

بخلاف ما عقلتم من النُّقلة والزوال من القديم الصانع، وقد جاز عندكم أن يكون معنى العالم وال قادر منه بخلاف ما عقلتم ممَّن سواه، بأنَّه عالمٌ لا علم له، قادرٌ لا قدرة له؟

وإن كنتم لم تعلقوا عالماً إلَّا له علمٌ، وقدراً إلَّا له قدرة، فما تنكرون أن يكون جائياً لا مجيء له، وهابطاً لا هبوط له ولا نزول له، ويكون معنى ذلك وجوده هناك مع زعمكم أنه لا يخلو منه مكانٌ!

فإن قال لنا منهم قائلٌ: فما أنت قائلٌ في معنى ذلك؟

قيل له: معنى ذلك ما دلَّ عليه ظاهر الخبر، وليس عندنا للخبر إلَّا التَّسليم والإيمان به، فنقول: يجيء ربُّنا - جلَّ جلاله - يوم القيمة والملك صفاً صفاً، ويهبط إلى السماء الدنيا وينزل إليها في كل ليلة، ولا نقول: معنى ذلك ينزل أمره؛ بل نقول: أمره نازلٌ إليها كلَّ لحظةٍ وساعةٍ وإلى غيرها من جميع خلقه الموجودين ما دامت موجودة.

ولا تخلو ساعةٌ من أمره، فلا وجه لخصوص نزول أمره إليها وقتاً دون وقتٍ، ما دامت موجودةً باقيةً.

وكالذى قلنا في هذه المعاني من القول: الصوابُ من القيل في كلِّ ما ورد به الخبر في صفات الله تعالى وأسمائه - تعالى ذكره - بنحو ما ذكرناه».

تعليق سماحة الشيخ رحمه الله :

يعني: ينزل نزواً لا يليق بجلاله لا شبيه له ولا نكifice؛ بل ليس كمثله شيء لا في النزول ولا في الاستواء ولا في غير ذلك يشبه الخلق: «ليس كمثله شيء وهو أسمى البصائر» [الشورى: ١١] ونسكت عمماً سوي ذلك.

قال الإمام أبو جعفر رَحْمَةُ اللَّهِ:

«فَأَمَّا الرُّؤْيَا، فَإِنَّ جَوَازَهَا عَلَيْهِ مَمَّا يَدْرِكُ عَقْلًا.

وَالجَهْلُ بِذَلِكَ كَالْجَهْلِ بِأَنَّهُ عَالَمٌ وَقَادِرٌ.

وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مُوصَوفٍ فَغَيْرُ مُسْتَحِيلٍ الرُّؤْيَا عَلَيْهِ، فَإِذَا كَانَ الْقَدِيمُ مُوصَوفًا فَالْلَّازِمُ لِكُلِّ مَنْ بَلَغَ حَدَّ التَّكْلِيفِ أَنْ يَكُونَ عَالَمًا بِأَنَّ صَانِعَهُ إِذَا كَانَ عَالَمًا قَادِرًا لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ مَا ذَكَرْنَا، أَنَّهُ لَا يَكُونُ زَائِلًا عَنْهُ أَحْكَامُ الْكُفَّارِ إِلَّا باعْتِقَادِهِ أَنَّ ذَلِكَ لَهُ جَائِزٌ رَؤْيَتِهِ؛ إِذَا كَانَ مُوصَوفًا، كَمَا يَلْزَمُهُ اعْتِقَادُهُ أَنَّهُ حَيٌّ قَدِيمٌ؛ إِذَا كَانَ لَا مَدْبِرٌ فِعْلٌ إِلَّا حَيٌّ، وَلَا مُحَدَّثٌ إِلَّا مَصْنَوعٌ.

فَأَمَّا إِيْجَابُ الْقَوْلِ، فَإِنَّهُ لَا مَحَالَةُ يُرَى، وَفِي أَيِّ : وَقْتٍ يُرَى، وَفِي أَيِّ : وَقْتٍ لَا يُرَى؟ فَذَلِكَ مَا لَا يُدْرِكُ عِلْمُهُ إِلَّا خَبْرًا وَسَمَاعًا.

وَبِالْخَبَرِ قُلْنَا: إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ يُرَى، وَإِنَّهُ مُخْصُوصٌ بِرُؤْيَا أَهْلِ الْجَنَّةِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَسَبِيلُ الْجَهْلِ بِذَلِكَ سَبِيلُ الْجَهْلِ بِمَا لَا يُدْرِكُ عِلْمُهُ إِلَّا حَسَّا حَتَّى تَقُومُ عَلَيْهِ حَجَّةُ السَّمْعِ بِهِ».

تعليق سماحة الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ:

كَلَامُ السَّلْفِ الْمُتَقْدِمِينَ أَيْسَرُ مِنْ هَذَا - رَحْمَمُهُ اللَّهُ -، كَلَامُهُمْ مُختَصَرٌ مُفِيدٌ، نَؤْمِنُ بِآيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْلَّائِقِ بِاللَّهِ، وَنَكُلُ عِلْمَ الْكِيفِيَّةِ إِلَيْهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى، فَنَقُولُ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِهَا كُلُّهَا نُمَرِّهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُؤْلِفُ هُنَا مِنْ مَجَادِلِهِمْ؛ بَلْ كَلِمَةً وَاحِدَةً، نُمَرِّهَا كَمَا جَاءَتْ وَنَؤْمِنُ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ الْلَّائِقِ بِاللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ،

- رحمهم الله -، وفقنا الله وإياكم، ورحمنا الله وإياهم .

فمثل هؤلاء ليسوا بأكفاء أن يتنزل معهم ولا حاجة للتنزيل معهم؛ بل يكفي الرد المجمل، يكفي أن نقول: هذه الآيات والتصوص من الكتاب والسنّة يجب الإيمان بها وإمارتها، كما قال السلف من الصحابة ومن بعدهم، كلام مختصر مفيد، نمرّها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل هذا هو الواجب.

■ سؤال : هل صحيح أنَّ من قرأ سورة الضحى يجد ما فقده؟

● الجواب: هذا لا أصل له.

قال الإمام أبو جعفر رض :

«القول في الفروع التي تحدث عن الأصول التي ذكرنا أنَّه لا يسع أحدُ الجهلُ بها من معرفة توحيد الله وأسمائه وصفاته .

قد دلَّلنا فيما مضى قبلُ من كتابنا هذا أنَّه لا يسع أحدًا بلغَ حدَ التَّكليفِ الجهلُ بِأنَّ اللهَ - جلَّ ذكره - عالمٌ له علمٌ، وقدرٌ له قدرة، ومتكلِّمٌ له كلامٌ، وعزيزٌ له عزةٌ، وأنَّه خالقٌ، وأنَّه لا مُحدثٌ إلَّا مصنوعٌ مخلوقٌ .

وقلنا: مَنْ جهل ذلك فهو بالله كافرٌ؛ فإذا كان ذلك صحيحاً بالذِّي به استشهادنا، فلاشكَ أنَّ من زعم أنَّ اللهَ مُحدثٌ، وأنَّه قد كان لا عالماً، وأنَّ كلامه مخلوقٌ، وأنَّه قد كان ولا كلام له، فإنَّه أولى بالكُفر ويزوال اسم الإيمان عنه.

وكذلك من زعم أنَّ فعله مُحدثٌ، وأنَّه غير مخلوقٍ، فمثله لاشكَ أنَّه أولى باسم الكُفر من الرَّاعم أنَّه لم يزل عالماً لا علم له؛ إذ كان قائل ذلك أوجب أن يكون في سلطان الله ما لا يقدرُ عليه، ولا يُريده،

وأن يكون مُريداً أمراً فيكون غيره، ولا يكون الذي يريده.
ذلك لاشك صفة العجزة، لا صفة أهل القدرة.

فإذا كان ذلك كذلك؛ فلاشك أنَّ من يزعم أنَّ كلام الله يتحوال بتلاوته إذا تلاه، وبحفظه إذا حفظه، أو بكتابه إذا كتبه مُحدثاً مخلوقاً؛ فهو بالله - تعالى ذكره - كافر».

تعليق سماحة الشيخ رحمه الله :

المقصود: من هذا أنَّ واجب الإيمان بأسماء الله وصفاته، ومن ذلك كلام الله، وأنَّ من أنكر أسماءه أو صفاته فقد كفر، لأنَّه مُكذب للله تعالى، وإنَّما هذا في حقِّ المُكَلَّف، إلَّا الصَّغِير حتَّى يبلغ؛ لكنَّ من قال هذا وقد بلغ حدَّ التَّكْلِيف، فإنَّه يكفر بذلك إلَّا إذا كان من أهل الفترة، فقد تقدم أنَّ أهل الفترة مُؤجل أمرهم إلى يوم القيمة، ليس لهم حكم الإسلام ولا حكم الكفر؛ لأنَّهم لم تبلغهم الدُّعوة، والله يقول - جلَّ وعلا -: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى يَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] فامرهم مُؤجل إليه - جلَّ وعلا - مفروضٌ إليه سبحانه وتعالى.

من لم تبلغه الرِّسالَة، لا - من - نبِيُّنا مُحَمَّدٌ ﷺ ولا من غيره، هؤلاء حكمهم حكم أهل الفترات يُمتحنون يوم القيمة، فمن صدَّق وأجاب وأطاع دخُل الجنة، ومن أبى وعصى دخُل النار، أمَّا من بلغته الدُّعوة دعوة الرُّسُل - عليهم السَّلَام - فإنَّ عليه أن يُصدق بذلك وأن ينقاد لذلك، فمن أنكر كلام الله أو علمه أو قدرته أو رحمته أو رضاه أو غضبه كالمُعتَزلة كفر بذلك؛ لأنَّه مُكذب لله؛ بل وصف الله بالنَّقص، فإنَّ من لا يتكلَّم ولا يرضي ولا يغضب، ولا يعلم ولا يسمع ناقص كالعدم، نسأل الله العافية.

الأسئلة:

- سؤال: ألا يدخل أهل الفترة في الميثاق الأول؟.
- الجواب: الميثاق الأول ما يتعلّق بالتكليف، التكليف بالميثاق الذي جاءت به الرّسل عليهم السّلام.
- قال الإمام أبو جعفر رض:

«وكذلك القول فيه إن شَكَ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْلوقٍ، مَقْرُوءٌ كَانَ، أَوْ مَحْفُوظًا، أَوْ مَكْتُوبًا، كَمَا لَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ بَارِئَ الْأَشْيَاءِ يَتَحَوَّلُ بِذِكْرِهِ أَوْ بِمَعْرِفَتِهِ، أَوْ بِكَتَابِهِ مَصْنُوعًا لَا صَانِعًا؛ كَانَ لَا شَكَ فِي كُفْرِهِ. وَكذلك القولُ فِيهِ لَوْ شَكَ فِي أَنَّهُ يَتَحَوَّلُ عَمَّا هُوَ بِهِ مِنْ صَفَاتِهِ بِذِكْرِ ذَاكِرٍ لَهُ، أَوْ عِلْمٍ عَالِمٍ لَهُ، أَوْ كِتَابَ كَاتِبٍ وَاسْمَهُ؛ كَانَ كَافِرًا».

تعليق سماحة الشيخ رض:

المقصود أَنَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - لَمْ يَزِلْ بِصَفَاتِهِ كَامِلَةً، وَأَنَّ هَذِهِ الصَّفَاتُ لَا تَتَنَقَّلُ وَلَا تَتَحَوَّلُ عَنْهُ، فَهُوَ لَا يَزَالُ عَالِمًا وَمُتَكَلِّمًا وَسَمِيعًا وَبَصِيرًا وَقَادِرًا وَخَالِقًا، صَفَاتُهُ مُسْتَمِرَةٌ، فَهُوَ سَبَحَانُهُ بِصَفَاتِهِ أَزْلِيُّ أَبْدِيُّ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَدْ يَتَحَوَّلُ مِنْ عَالِمٍ إِلَى جَاهِلٍ، وَمَنْ قَدِيرٌ إِلَى عَاجِزٍ، وَمَنْ مُتَكَلِّمٌ إِلَى أَخْرَسٍ كَفَرَ بِذَلِكَ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

قال الإمام أبو جعفر رض:

«وكذلك القولُ أَنَّ صَفَةً مِنْ صَفَاتِهِ تَتَحَوَّلُ عَمَّا هِيَ بِهِ بِذِكْرِ ذَاكِرٍ، أَوْ مَعْرِفَةٍ عَارِفٍ بِهَا، أَوْ كِتَابَ كَاتِبٍ؛ أَوْ شَكَ فِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَحْوِيلُهَا أَوْ تَبْدِيلُهَا أَوْ تَغْيِيرُهَا عَمَّا لَمْ يَزِلْ اللَّهُ تَعَالَى ذَكْرَهُ بِهَا مَوْصُوفًا».

كما كان غير جائز أن يتحول كلام الله تعالى مخلوقاً بقراءة قارئ، أو كتابة كاتب، أو حفظ حافظ، أو يتحول الصانع مصنوعاً، أو القديم محدثاً بذكر محدث مصنوع إياه؛ فكذلك غير جائز أن تتحول قراءة قارئ، أو تلاوته، أو حفظه القرآن قرآنًا أو كلام الله تعالى ذكره».

تعليق سماحة الشيخ رحمه الله :

قول أهل السنة والجماعة أنَّ القرآن كلام الله محفوظاً ومقروءاً ومكتوبًا وسممواً، هو كلام الله، أمَّا الصوت: صوت الإنسان مخلوقٌ، والكتابة كتابة مخلوقة، الصحيفة الورقة مخلوقة؛ ولكن المقروء والمكتوب والمسموع هو كلام الله عزَّ وجلَّ.

قال الإمام أبو جعفر رضي الله عنه :

«بل القرآن هو الذي يقرأ ويكتب ويحفظ، كما ربُّ - جلَّ جلاله - هو الذي يعبدُ ويُذكَرُ، وشُكر العبد ربِّه عبادُه إِيَّاهُ، وذكُرُه له غيره، والشاكُر في ذلك لاشكُ فِي كُفره».

وكما كان ذلك كذلك، فكذلك القول في الزاعم أنَّ شيئاً من أفعال العباد أو غير ذلك من المحدثات غير مخلوقٍ، أو غير كائن بتكونين الله - جلَّ ثناؤه - إِيَّاهُ، وإن شائه عينه؛ فهو بالله كافر».

تعليق سماحة الشيخ رحمه الله :

هكذا أنَّ من أنكر أنَّ بعض مخلوقاته مخلوق لِللهِ، كالذي يقول: أنَّ علمه غير مخلوق لِللهِ أو ذاته أو ذات فلان أو الملائكة أو الجن أو غير ذلك يكون كافراً بالله؛ لأنَّ الله يقول: ﴿الله خَلَقَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] هو الخالق للأشياء كلها ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

ومن زعم أنَّ شيئاً من الموجودات مخلوق لغير الله من إنسان أو جنٌّ أو سماء أو أرض أو بحر أو جبل فقد كفر، وكذب الله في قوله : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] ﴿هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [نَاطِرٌ: ٣] نعم ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْرُهُ نَقِيرًا﴾ [الرُّفَاقَ: ٢] سبحانه الله.

قال الإمام أبو جعفر رضي الله عنه :

«سواء كان ذلك ذكر العبد ربّه أو ذكره الشيطان إلا أنَّ بعضهم يقصد بزعمه أنَّ ذكره ربّه مخلوقٌ إلا أنَّ ربّه مخلوقٌ؛ فيكون بذلك كافراً حلال الدَّم والمال».

وكذلك القول في قائل لو قال: «قراءتي القرآن مخلوقة». وزعم أنه يريد بذلك القرآن مخلوقٌ: فكافرٌ لا شكَّ فيه عندنا، ولا أحسب أحداً أعطى شيئاً من الفهم والعقل يزعم ذلك أو يقوله.

فأمّا إن قال: أعني بقول «قراءتي»: فعلي الذي يأجرني الله عليه والذي حدثَ مني بعد أن لم يكن موجوداً، لا القرآن الذي هو كلام الله - تعالى ذكره - الذي لم يزل صفةً قبل كون الخلق جمِيعاً، ولا يزال بعد فنائهم الذي هو غير مخلوقٍ.

فإنَّ القول فيه نظير القول في الرَّاعِم أنَّ ذكره الله - جلَّ ثناؤه - بلسانه مخلوقٌ، يعني بذلك فعله لا ربَّه الذي خلقه وخلق فعله».

تعليق سماحة الشيخ رضي الله عنه :

هذا حقٌّ، إذا أراد الصَّوتُ واللُّفْظُ أنَّه مخلوقٌ، أمَّا المقرُوه والمُتَلَوُ، فهو كلام الله عزَّ وجلَّ.

قال الإمام أبو جعفر رضي الله عنه:

«قد قلنا في تبصير المستهدي^(١) إلى صواب القول فيما تنازعـت فيه أمّة محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه بعد فراقـه إياـهم من توحـيد الله تعالى ذكرـه وأسمـائه وصفـاته وعـدله، وفيـما يـسـعـ الجـهـلـ بهـ منـ ذـلـكـ ولاـ يـسـعـ ذـلـكـ فيـهـ، وـفـيـ حـكـمـ مـنـ جـهـلـ مـنـهـ ماـ يـضـيقـ الجـهـلـ بـهـ، وـفـيـ فـرـوعـ ذـلـكـ، وـحـكـمـ مـنـ جـهـلـ مـنـ فـرـوعـهـ ماـ وـقـعـ التـشـاـجـرـ فـيـهـ إـلـىـ يـوـمـنـاـ هـذـاـ، أوـ فـيـماـ عـسـىـ أـنـ يـحـدـثـ بـعـدـ، بـمـاـ فـيـهـ الـكـفـاـيـةـ لـمـنـ وـفـقـ لـفـهـمـهـ، وـأـعـيـنـ عـلـيـهـ فـهـدـيـ لـرـشـدـهـ».



(١) قال المحقق لم أعنـر لكتـابـ لهـ غـيرـ هـذـاـ الكـتـابـ، ولعلـهـ كانـ يـقـصـدـهـ وـذـلـكـ لـأـمـرـيـنـ:
الأـولـ: اـشـتـراكـهـمـاـ فـيـ أـوـلـ الـاسمـ «ـتـبـصـيرـ»ـ.
وـالـأـمـرـ الثـانـيـ: مـضـمـونـ الرـسـالـةـ، هـوـ مـضـمـونـ هـذـاـ الكـتـابــ. يـنـظـرـ / التـبـصـيرـ فـيـ معـالـمـ الدـينـ
لـابـنـ جـرـيرـ (صـ ١٥٥ـ).